رسائل عشق تحملها النوارس على ظهورها

تصفح دفتر ذكرياته: حسن بن أحمد اللواتي
الصور بعدسة: رضا بن محمد داتاني

على رصيف الشارع البحري لمدينة مطرح انتظرت وكلي شوق للاستماع إلى ذاكرة عاشق هذه المدينة الدكتور علي بن محمد سلطان، كانت أمواج البحر تروي قصصها للأسماك والنوارس وجدران الرصيف والمارة وفناجين القهوة داخل مقهى "الحيدري" بالقرب من مسجد الرسول الأعظم -كان هذا اسمه القديم وما يزال معروفا لدى سكان مطرح-، وتمر في الأجواء موسيقى حالمة لأغنية الفنانة نجاة الصغيرة " أنا بعشق البحر زيك يا حبيبي حنون" ليختفي الصوت بالتدريج مع ابتعاد السيارة التي انبعث منها الصوت وظلت كلمات الأغنية ترفرف وحملتني إلى الزمن الجميل، ولا أدري لماذا رددت الأبيات الأولى من قصيدة الشاعر إبراهيم ناجي بصوت مسموع: " صورة للبحر أم صورة نفسي عندما النفس من اليأس تثور" وقاطعني صوت الدكتور علي محمد سلطان وهو ينظر إلى مرايا ذاكرة البحر قائلا: " لا أعلم أإزرقاق السماء عكس جماله عليك أم تدحرج زُرق أمواجك إلى عنانك؟ ستبقين مطرح لغز العاشقين المفتونين بجمالك" وسألني: "كما لبثت هنا؟" فأجبته: "ساعة أو ربما نصف ساعة".

من ذاكرة الأيام

وطرحنا عليه أول سؤال: "من ذاكرة الأيام" مشروع سردي لم يرى النور بعد فكيف بدأ؟ ويجيب الدكتور علي قائلا: " الفكرة بدأت من غير مقدمات كخاطرة جالت في الذهن لحادثة مرت منذ قرابة نصف قرن من الآن وتحديدا في الستينيات من القرن الماضي وفي شهر مارس العام ١٩٦٨ عندما زار سمو المغفور له الشيخ زايد السلطان سعيد بن تيمور-رحمه الله- في مكان إقامته في ظفار وحينها طلب الوالي إسماعيل الرصاصي من الوالد الحاج محمد سلطان يوسف -رحمه الله- ومن الحاج حبيب جواد عبدالحسين التوجه إلى ظفار للإشراف على الطبخ والقيام بمهام الضيافة للضيف المتجه إلى صلالة، كتبت عن الحدث ببعض تفاصيله وعندما نشرته في حسابي على "الفيس بوك" وجدت العشرات من المداخلات، كما أن العشرات من المتابعين طلبوا مني الاستمرار في الكتابة عن تلك الفترة ومن هنا بدأت وأتبعت الموضوع الخاص بالوالد وذهابه إلى صلالة بمواضيع أخرى فوجدت نفسي -كلما كتبت قصة أو أسردت حادثة- أنني أمام قصة أخرى ذات نكهة مغايرة لكنها شائقة ولها التواصل فيما ذكرت وهكذا حتى وصلت إلى المدارس الأهلية في مطرح حيث كان لسردي عنها صدى وقبولا ومتابعة تحت إلحاح الملحين من المتابعين فقد ألزمت نفسي أدبيا أن استمر حتى أكمل باقي الحلقات عن مطرح وعن ما أتذكره بعيدا عن التكلف".

هناك الكثير من التفاصيل التي حدثنا عنها الدكتور علي حول رحلة والده إلى ظفار ولا تتسع المساحة هنا إلى ذكرها وعشنا معه أجواء تلك الذكريات الطيبة التي هي أشبه بنسمات تهفو إليها الأرواح، كما اشتهت الأنفس لتذوق تلك المأكولات الشهية وخاصة الحلويات المشهورة.

موسم القيظ

ويتابع الدكتور علي حديثه مع ذاكرة الأيام والحنين الكبير بداخله يغذي ذلك الماضي الجميل فيخبرنا عن موسم القيظ في "غلا" حيث سكان مطرح من اللواتيا وقبائل أخرى يتجهون إلى هناك وكان لديهم بيوت ومقصورات وفيما بعد انتقلوا إلى أماكن أخرى كالسيب ولكن

البدايات في "غلا" وكل ما كان فيها هي شجر "الرول" وأكبرها على ناصية بركتي ماء الأولى للرجال والثانية مخصصة للنساء ومحاطة بسور، مياه ساخنة دافقة تحط في حوض محصن من غير باب للرجال والآخر للنساء محاط بسور له باب، غلا تلتهب نار وشوبا في شهور القيظ والكثبان الرملية فيها تغطي ساحاتها الممتدة من معسكر بوشر حتى آخر نقطة في قرية غلا المنتهية عند جريان الأحواض المليئة بالمياه الطبيعية الحارة يزداد لهيبها بلهيب القيظ.

كما أخبرنا عن الخيمة التي نصبها والده هناك وكان شابا آنذاك وسبقه أشخاص آخرين في تقديم بعض الخدمات هناك مع مجموعة من الشباب من جيله وذلك في عام ١٩٦٤، وحصل والده على مساحة طيبة هناك فطعامه كان راقيا كذلك تحدث عن المجالس الشبابية وأجواء المتعة والأنس والسمر وأسماء الكثير من الأشخاص مع ألقابهم المعروفة.

"حديث الروح"

أين وصل المشروع السردي الآن؟ يترك الدكتور قهوته جانبا ليستكمل حديثه فيقول: " وصل عدد المقالات ضمن هذا المشروع ما بين ١٤٠ إلى ١٥٠ مقالا مطولا، وسيتم نشرها في ٤ أجزاء مع مجموعة من الصور، لم يسبق لأحد أن يتناول هذا التاريخ بهذا التفصيل وقد أعيد النظر في عنوان من ذاكرة الأيام وأختار عنوان آخر مثل "مطرح قلب عُمان" أو جوهرة عُمان لدي عناوين أخرى في ذهني وسأختار الأنسب، مضيفا في الصدد ذاته بأنه كلما نشر مقالا ازداد عدد المتابعين، كما أشاد ببرنامج حديث الروح -إعداد وتقديم نايلة بنت ناصر البلوشية -عبر إذاعة الشباب، فقد تمت استضافته في هذا البرنامج وساهم هذا البرنامج في وصول مشروعه إلى أكبر عدد من الجماهير وأشار الدكتور علي بانه كان مترددا للمشاركة في البداية بسبب ما لا علاقة له بالمادة والمعلومات المتوفرة لديه، وبعد أول حلقة وصلته مطالبات من عدد من الناس لاستكمال هذه الحلقات عن مطرح وشارك في حلقة ثانية وثالثة ومن ثم تمت استضافته في محطة إذاعية أخرى " هلا اف ام" ومحاضرات في معرض الكتاب الدولي والمزيد من المشاركات هنا وهناك، وهكذا استمر الحديث عن مطرح عبر قنوات ومنصات متنوعة وكتب عن شخصيات مؤثرة في الولاية من مختلف القبائل بلا استثناء.

مدينة كوزموبوليتانيه

يصف الدكتور علي بن محمد سلطان مطرح بالمدينة الكوزموبوليتانيه وهذا المصطلح الذي يتكون من مقطعين يعبر عن المكان الواحد الذي تتعدد وتتنوع فيه الثقافات والجنسيات لتعيش حالة من التناغم والسلام والمحبة، وقد قام بتوديع عدسة "اقرأ" من خلال إحدى المقالات الأخيرة التي كتبها بعنوان " أين ذهبتم بأمواتنا؟" وحاول أن يحبس دمعته وهو يحدثنا عن هذا المقال لكنه لم يتمكن من ذلك، مرسلا للجميع ولعشاق مطرح دعواته لقراءة هذا المقال والمقالات السابقة.

الجدير بالذكر أن الدكتور علي بن محمد سلطان من مواليد ١٩٥٩ في مطرح ومن أسرة مارست النشاط التجاري وانفتحت على عالم الأسفار والاستيراد والتصدير وانفتحت على التعدد الثقافي نتيجة الاختلاط والتمازج مع التجار في المحيطين الداخلي والخارجي.

حاصل على شهادة البكالوريوس من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بالجامعة الأردنية عام ١٩٨٣ والماجستير في مجال إدارة الأعمال كما حصل على شهادة الدكتوراه في مجال العلاقات الدبلوماسية في المملكة المتحدة عام ٢٠١٨.